بسم الله الرحمن الرحيم

٧٣ – سورة المزمل

قال المهايميّ : سميت به لدلالته على عظم أمر الوحى ، لأن أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل .

وهى مكية ، قيـــل : إلا قوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ » إلى آخر السورة ، وآيها عشرون .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ)

[٢] (قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)

[٣] (نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا)

[٤] (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا)

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ » أى المتزمل . من (تزمل) بثيابه إذا تلفف بها . فأدغم التاء فى الزّاى خوطب ﷺ بحكاية حاله وقت نزول الوحى ، ملاطفةً وتأنيساً وتنشيطاً للتشمر لقيام الليل ، وقيل : معناه المتحمل أعباء النبوة ، من تزمل الزِّمْلَ ، إذا تحمل الحمل . ففيه استعارة . شبَّهَ إجراء التبليغ بتحمل الحمل الثقيل ، بجامع المشقة .

قال الشهاب : وأورد عليه أنه مع صحة المعنى الحقيقىّ ، واعتضاده بالأحاديث الصحيحة ، لا وجه لادعاء التجوز فيه .

وقد يجاب بأن الأحاديث رويت فى نزول سورة (المدثر) لا فى هذه السورة ، كما سيأتى إن شاء الله ، إلا أن يقال : هما بمعنى واحد .

« قُمِ ٱلَّيْلَ » أى : فيه للصلاة ، ودع التزمل للهجوع « إِلَّا قَلِيلًا » أى بحكم الضرورة للاستراحة ، ومصالح البدن ومهماته التى لا يمكن بقاؤه بدونها .

ثم بيّن تعالى قدر القيام مخيراً له بقوله : « نِّصْفَهُۥٓ » أى نصف الليل بدل من الليل . « أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ » أى من النصف « قَلِيلًا » أى إلى الثلث .

« أَوْ زِدْ عَلَيْهِ » أى النصف إلى الثلثين ، والمقصود التخيير بين قيام النصف وما فوقه وما دونه . ولا يقال : كيف يكون النصف قليلًا وهو مساوٍ للنصف الآخر ؟ لأن القلة بالنسبة إلى الكل ، لا إلى عديله .

« وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا » أى بيّنه تبييناً ، وترسّل فيه ترسلًا .

قال الزمخشرىّ : ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة ، بتبيين الحرف ، وإشباع الحركات ، حتى يجىء المتلوّ منه شبيهاً بالثغر المرتل ، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وأن لا يهذّه هذًّا ، ولا يسرده سرداً .

تنبيه :

قال السيوطىّ : فى الآية استحباب ترتيل القراءة، وأنه أفضل من الهذّ به، وهو واضح.

وقد ثبت فى السُّنَّة أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ، وأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً، وأنه كان يقف على رؤوس الآى .

واستدل بالآية على أن الترتيل والتدبُّر ، مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها ، لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبُّره ، والفقه فيه ، والعمل به .

قال ابن مسعود : لا تهذُّوا القرآن هذَّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل. قفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكن هَمّ أحدكم آخر السورة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » أى رصيناً ، لرزانة لفظه ، ومتانة معناه ، ورجحانه فيهما على ما عداه . ولما كان الراجح من شأنه ذلك ، تجوّز بالثقيل عنه . أو ثقيلًا على المتأمّل فيه ، لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر ، وتجريد للنظر . أو ثقيلًا تلقّيه ، لقول عائشة[1] رضى الله عنها : رأيته ﷺ ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً . وعلى كل فالجملة معللة للأمر بالترتيل ، وأن ثقله مما يستدعيه .

---

(١) يشير إلى الحديث الذى رواه البخارىّ فى : ١ ـ كتاب بدء الوحى ، ٤ ـ حدثنا عبد الله بن يوسف ، حديث رقم ٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا)

« إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ » أى نشأته وطبيعة خلقه ومظهره « هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا » أى موافقة لما يراد منها من جمع الهم ، وهدوء البال . « وَأَقْوَمُ قِيلًا » أى أسدّ مقالًا وأصوبه .

قال ابن قتيبة : لأن الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتنقطع فيه الحركات ، ويخلص القول، ولا يكون دون تسمّعه وتفهمه حائل .

ونقل السيوطىّ عن الجاحظ قال : ناشئة الليل هى المعانى المستنبطة من القرآن بالليل ، أشد وطأً أبين أثراً . وأقوم قيلًا ، أصحّ مما تخرجه الأفكار بالنهار ، لخلوّ السمع والبصر عن الاشتغال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] (إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)

[٨] (وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)

[٩] (رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا)

« إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا » أى تقلباً فى مهماتك ، واشتغالًا بها، فلذا أمرت بقيام الليل . « وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ » أى دم على ذكره ليلًا ونهاراً . قال الزمخشرىّ : وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب : تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن، ودراسة علم، وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره. « وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » أى أخلص إليه ، بتجريد النفس عن غيره ، إخلاصاً عظيما . « رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلا » أى تكل إليه مهامك، فإنه سيكفيكها.

قال ابن جرير[1] : أى فيما يأمرك ، وفوض إليه أسبابك .

(١) انظر الصفحة رقم ١٣٣ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠] (وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)

[١١] (وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا)

[١٢] (إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا)

[١٣] (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا)

[١٤] (يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا)

« وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ » أى من الأذى والفَرْي « وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا » أى بالإعراض عن مكافأتهم بالمثل ، كما قال تعالى[1] (وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ) « وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ » أى دعنى وإياهم ، وكِلْ أمرهم إلىّ ، فإن بى غنية عنك فى الانتقام منهم . « أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ » أى التنعم ، يريد صناديد قريش ومترفيهم . « وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا » أى تمهل عليهم زماناً ، أو إمهالاً قليلاً . « إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا » أى قيوداً « وَجَحِيمًا » أى ناراً شديدة الحرّ والاتقاد « وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ » أى يغصّ به آكله فلا يسيغه ، « وَعَذَابًا أَلِيمًا » أى ونوعاً آخر من أنواع العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه . أى فلا ترى موكولاً إليه أمرهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام . « يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ » أى تضطرب وترتجّ بالزلزال ، « وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا » أى رملاً متفرقاً منثوراً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥] (إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا)

[١٦] (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا)

(١) [٣٣ / الأحزاب / ٤٨].

« إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ » أى بإجابة من أجاب وإباء من أبى « كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا » أى يدعوه إلى الحق. « فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا » أى ثقيلًا ، وذلك بإهلاكه ومن معه ، غرقاً فى اليم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧] (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا)

[١٨] (ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ، كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا)

[١٩] (إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ، فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا)

« فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً » أى كيف تقون أنفسكم إن بقيتم على كفركم ، ولم تؤمنوا بالحق ، يوم القيامة ، وحاله فى الهول ما ذكر .

قال ابن أبى الحديد : يقال فى اليوم الشديد : إنه ليشيب نواصى الأطفال ، كلام جار مجرى المثل. وليس ذلك على حقيقته، لأن الأمة مجمعة على أن الأطفال لا تتغير خُلاهم فى الآخرة إلى الشيب . والأصل فى هذا أن الهموم والأحزان إذا توالت على الإنسان شاب سريعاً . قال أبو الطيب[1] :

والهم يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبىّ ويُهرِمُ

« ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ » قال الزمخشرىّ : وصف لليوم بالشدة أيضاً. وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنك بغيرها من الخلائق ؟

قال السمين : وإنما لم تؤنث الصفة لأحد وجوه : منها ـ تأويله بالمشتق . ومنها ـ أنها على النسب ، أى ذات انفطار ، نحو : مرضع وحائض . ومنها ـ أنها تذكر وتؤنث .

(١) من قصيدته التى مطلعها :

لِهَوَى القلوب سريرة لا تعلَمُ عَرَضاً نظرتُ وخِلْتُ أنى أسْلَمُ

الديوان ص ٢١٨ (طبعة لجنة التأليف عام ١٩٤٤) .

ومنها ـ أنها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، فيقال : سماءة ، وفى اسم الجنس التذكير والتأنيث . والباء فى (بِهِ) سببية أو للاستعانة ، أو بمعنى (فى) .

« كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا » أى لأنه لا يخلف وعده ، فاحذروا ذلك اليوم . « إِنَّ هَٰذِهِۦ » أى الآيات الناطقة بالوعيد الشديد « تَذْكِرَةٌ » أى موعظة لمن اعتبر بها واتعظ ، « فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا » أى بالإيمان به ، والعمل بطاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ، وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ، عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ، عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ، وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ، وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

« إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ » أى تتهجد فيه هذه التارات المختلفة ، وتتشمر للعبادة فيه هذا التشمر امتثالاً لأمره وتبتلاً إليه ، « وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ » أى يعلمهم كذلك ، « وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ » أى أن يجعلهما على مقادير يجريان عليها ، فتارة يعتدلان ، وتارة يزيد أحدهما فى الآخر ، وبالعكس مما يشق لأجله المواظبة على قيامه بما علمه منكم ـ أشار إليه ابن كثير ـ . أو المعنى : يقدر فيهما ما شاء من الأوامر . ومنه تقديره فى قيام الليل ما قدره ، مما أمر به أول السورة من التخيير ، ترخيصاً وتيسيراً . « عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ » أى قيام الليل ، على النحو الذى

دأبتم عليه ، أو قيام الليل كله ، للحرج والعسر « فَتَابَ عَلَيْكُمْ » أى عاد عليكم باليسر ورفع الحرج . « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ » أى فى صلاة الليل بلاتقدير . أو المراد : لاتتجاوزوا ماقدره لكم، رحمة بأنفسكم . وفيه رد من غلوهم فى قيام الليل كله، أو الحرص عليه ، شوقاً إلى العبادة ، وسبقًا إلى الكمالات .

قال مقاتل : كان الرجل يصلى الليل كله ، مخافة أن لايصيب مما أمر به من قيام مافرض عليه ـ نقله الرازىّ ـ .

« عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ » أى يضعفهم المرض عن قيام الليل « وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ » أى للتجارة وغيرها ، فيقعدهم ذلك عن قيام الليل « وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ » أى لنصرة الدين ، فلا يتفرّغون للقيام فيه « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » أى من القرآن. ولاتحرّجوا أنفسكم، لأنه تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

تنبيهات :

الأول ـ ذهب كثير من السلف إلى وجوب قيام الليل المفهوم من الأمر به طليعة السورة ، منسوخ بهذه الآيات .

روى ابن جرير[1] عن عائشة قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ وسلم حصيراً يصلى عليه من الليل ، فتسامع به الناس فاجتمعوا ، فخرج كالمغضب ـ وكان بهم رحيما ـ فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل ، فقال : ياأيها الناس ؟ اكلفوا من الأعمال ماتطيقون، فإن الله لايمل من الثواب ، حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمال مادمتم عليه . ونزل القرآن . (يَـٰٓأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ...) الآية، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله مايبتغون من رضوانه فرحمهم ، فردهم إلى الفريضة ، وترك قيام الليل

قال ابن كثير : والحديث فى الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة . وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك ، وإنما هى مكية . انتهى كلامه .

(١) انظر الصفحة رقم ١٢٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

أقول : وبمثل هـــذه الرواية يستدل على أن مراد السلف بقولهم : (ونزلت الآية) الاستشهاد بها فى قضية تنطبق عليها ـ كما بيناه مراراً ـ .

وأخرج أيضاً [1] عن ابن عباس قال : أمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلًا . فشق ذلك على المؤمنين ، ثم خفف عنهم فرحمهم ، وأنزل الله بعد هذا (عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم . . .) الآية . فوسع الله ـ وله الحمد ـ ولم يضيق .

وعن أبى عبد الرحمن قال : لما نزلت (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ) قاموا بها حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت (فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) فاستراح الناس .

وهكذا روى عن سعيد والحسن وعكرمة وقتادة .

قال ابن حجر فى (شرح البخارىّ) : ذهب بعضهم إلى أن صلاة الليل كانت مفروضة ، ثم نسخت بقيام بعض الليل مطلقاً ، ثم نسخ بالخمس . وأنكره المروزىّ . وذهب بعضهم إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة .

وقال السيوطىّ فى (الإكليل) : قوله تعالى (قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) هو منسوخ بعد أن كان واجباً ، بآخر السورة . وقيل : محكم ، فاستدل به على ندب قيام الليل . واستدل به طائفة على وجوبه على النبىّ ﷺ خاصة . وآخرون على وجوبه على الأمة أيضاً ، ولكن ليس الليل كله ، بل صلاة مّا فيه . وعليه الحسن وابن سيرين . انتهى .

أقول : من ذهب إلى أن الأمر محكم وأنه للندب ، يرى أن آخر السورة تعليمٌ لهم الرفقَ بأنفسهم ، لأنه تاب عليهم باليسر ، ورفع عنهم الآصار . وفيه مايدل على عنايتهم بالمندوب ، وحرصهم عليه ، حتى أفضى الحال إلى الرفق بهم فيه . ويدل عليه أثر عائشة فى ربطهم الحبل للتعلق به ، استعانة على قراءة القرآن ، وكثرة تلاوته .

الثانى ـ قال ابن كثير : فى قوله تعالى (فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ) تعبير عن

---

(١) انظر الصفحة رقم ١٢٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

الصلاة بالقراءة ، كما قال فى سورة سبحان [١] (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) أى بقراءتك . وقد استدل أصحاب الإمام أبى حنيفة رحمه الله ، بهذه الآية ، على أنه لاتتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة ، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ، ولو بآية ، أجزأه . واعتضدوا بحديث (المسىء صلاته) الذى فى الصحيحين [٢] : ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن . وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو فى الصحيحين [٣] أيضاً ، أن رسول الله ﷺ قال : لا صلاة إلا أن تقرأ بفاتحة الكتاب . انتهى .

الثالث ـ فى قوله تعالى (وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) علم من أعلام النبوّة .

قال ابن كثير : هذه الآية ، بل السورة كلها ، مكية . ولم يكن القتال شرع بعد، فهى من أكبر دلائل النبوّة ، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة .

الرابع ـ قال ابن الفرس : فى قوله (وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ) فضيلة التجارة ، لسوقها فى الآية مع الجهاد .

أخرج سعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب قال : ما من حال يأتينى عليه الموت بعد الجهاد فى سبيل الله ، أحب إلىّ أن يأتينى وأنا ألتمس من فضل الله . ثم تلا هذه الآية .

وقال السيوطىّ : هذه الآية أصل فى التجارة .

---

(١) [١٧ / الإسراء / ١١٠] .

(٢) أخرجه البخارىّ فى : ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٩٥ ـ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ، حديث رقم ٤٦١ ، عن أبى هريرة .

وأخرجه مسلم فى : ٤ ـ كتاب الصلاة ، حديث رقم ٤٥ (طبعتنا) .

(٣) أخرجه البخارىّ فى : ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٩٥ ـ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ، حديث رقم ٤٦٠ .

وأخرجه مسلم فى كتاب الصلاة ، حديث ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ (طبعتنا) .

« وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ » أى زكاة أموالكم .

قال ابن كثير : وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة ، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة .

«وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » يعنى به بذل المال فى سبيل الخيرات على أحسن وجه ، كأن يكون من أطيب المال ، وإعطاءه للمستحق من غير تأخير ، واتقاء المنّ والأذى . وسر الأمر بـ (الحسن) أن القرض لما كان يعطى بنية الأخذ ، لا يبالى بأى شىء وأى مقدار يعطى منه ، فأشير إلى إيثار المقام الأرفع . ولكونه محقق الرجوع إليه دل التعبير به على تحقق العوض هنا . « وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ » أى فى الدنيا من صدقة أو نفقة فى وجوه الخير ، أو عمل بطاعة الله ، أو غير ذلك من أعمال البر « تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا » أى ثواباً مما عندكم من متاع الدنيا . « وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ » أى سلوه غفران ذنوبكم ، « إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »أى ذو مغفرة لذنوب من تاب إليه وأناب ، ورحمة أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها .